جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي و البحث العلميّ
جامعة ديالى
كليـــة التربيـــة للعلوم الإنسـانيّة
قســـــم اللغـــــة العربيـــــــــة
الدراسات العليا

تَضَافُرُ الأَسَالِيبِ النَّحْوِيَّةِ فِي التَّعْبِيرِ القُرْآنِيِّ

دِرَاسَةٌ فِي البُنْيَةِ وَالدَّلَالَةِ

رسالة ماجستير قدّمتها

الطالبة :

هناء عبّاس سلمان عناد الشّمريّ

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانيّة في جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها (اللغة)

بإشراف :

الأستاذ المساعد الدكتورة

غـــــادة غـــازي عبـــد المجيـــــد

ذو الحجّة ١٤٣٦هـ — تشرين الأوّل ٢٠١٥م

الفصل الأوّل

تضافر الأساليب النحويّة
الوعي بالظاهرة في التراث اللسانيّ العربيّ

المبحث الأوّل

تضافر الأساليب النحويّة
(نحو صوغ التعريف)

الفصل الأول
تضافر الأساليب النحوية
الوعي بالظاهرة في التراث اللساني العربي

(١) صورة التضافر في المعجم العربيّ

أوردت المعجمات العربية صورًا لمعاني الجذر اللغوي لمادة (ض ف ر) رسمتها مجموعة من الألفاظ ؛ سيعرضها البحث على وفق الآتي :-

١) النسج : جاء في العين:(((الضفر) نسجك الشعر بعضه في بعض))[١] .

٢) العقد : جاء في تاج العروس : (((الضفر) ما تعقد بعضه على بعض))[٢] .

٣) الإدخال : جاء في لسان العرب: (((الضفر) إدخال الشيء بعضه ببعض))[٣] .

٤) البناء : ((بني بناء بحجارة بغير كلس ولا طين ، فهو ضفر ، يقال: ضفر فلانٌ الحجارة حول بيته ضفرًا))[٤] ؛ بمعنى بنى الحجارةَ حول بيتهِ بناءًا .

٥) الجمع : جمع الشيء والتعاون عليه ، يقال: تضافر القوم على فلان وتظافروا عليه و تظاهروا ؛ بمعنى تجمعوا عليه[٥] . و يقال : كنانة ضفرة ؛ أي : ممتلئة ، و أصلها من تضافر ما فيها من السهام ؛ وهو تجمُّعها [٦].

٦) الضّمّ : جاء في مقاييس اللغة : (((الضفر) ضمّ الشيء إلى الشيء نسجًا أو غيره عريضًا)) [٧] .

---

(١) (ضفر) : ٢٨/٧ ، وينظر : مجمل اللغة : ٥٦٤ ، ومقاييس اللغة : ٣/ ٣٦٦ ، وتاج العروس : ٣٩٨/١٢ .

(٢) (ضفر) : ٣٩٩/١٢.

(٣) (ضفر) : ٤٩٠/٤ ، وينظر : تاج العروس (ضفر) : ٤٠٠/١٢ .

(٤) جمهرة اللغة (ضفر) : ٧٥٠/٢ ، وينظر : لسان العرب (ضفر) : ٤٩٠/٤ .

(٥) لسان العرب (ضفر) : ٤٩٠/٤.

(٦) مقاييس اللغة (ضفر) : ٣٦٦/٣.

(٧) (ضفر) : ٣/ ٣٦٦ .

٧) التعاون : جاء في مقاييس اللغة : ((التضافر بمعنى التعاون ويقال تضافروا عليه ، أي تعاونوا عليه . و أصله عندي من ضفائر الشعر ؛ و هو أنْ يتقاربوا حتى كأنَّ كلَّ واحد منهم قد شدَّ ضفيرته بضفيرة الآخر))[١] .

٨) والمضافرة : المعاودة و الملابسة [٢].

هذه هي أهمّ المعاني التي استطاع البحث استقراءها لدلالة الـ (ضفر) في اللغة العربيّة .

إن التمعن والتدقيق في هذه التوصيفات التي يقدمها المعجم العربي لدى شرح دلالة التضافر في اللغة، والنصوص التي سيقف عليها البحث لدى الحديث عن وعي العلماء بظاهرة (التضافر) يدلّنا على سرِّ اخَتيارِ لفظة (التضافر) عمّا سواها من الألفاظ الأخرى كالاجتماع ، والتلاقي ، والمصاحبة ، والاقتران ، والاتصال ، والربط ، و غيرها .

فالأمر يكمن في لفظ (التضافر) نفسه ، إذ إنَّ فيه قدرةً على استيعاب احتمال دلالات الألفاظ الأخرى بأشكال مختلفة ومتنوعة تتلاءم مع المفهوم الذي سيعرضه البحث لمصطلح (التضافر) مع الأخذ بالحسبان عدم قدرة تلك الألفاظ على استيعاب احتمال مجموعة دلالات الألفاظ الدالة في هذا الحقل ؛ مثال ذلك : الاجتماع والمصاحبة ،((فكلّ اصطحابٍ اجتماع وليس كل اجتماع اصطحابًا)) [٣] .

فالتضافر لفظًا : نسجٌ ، وعقدٌ ، وإدخالٌ ، وبناءٌ ، وجمعٌ ، وضمٌّ ، وتعاونٌ ، وهذه الألفاظ تحتمل معانيَ : الاعتماد، والتعليق ، والاشتراك ، و المصاحبة و التداخل. ممّا يعني أنَّ لفظ (التضافر) هو الأقدر على الدلالة على الفكرة التي يقوم عليها البحث .

لذا فإن لفظ (التضافر) هو الأنسب لدلالته على اتفاق أكثر من أسلوب وبلورته مع غيره من الأساليب كما الضفيرة – في سلسلة العلاقات النحوية – .

---

(١) (ضفر) : ٣/ ٣٦٦ .

(٢) تاج العروس: (ضفر) : ٣٩٩/١٢ .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن : ٤٧٦ .

أمّا الألفاظ الأخرى (التي سيعرضها البحث) كـ :(الإدخال ، والاجتماع ، والمزاوجة ، والتلازم ، والتلاقي ، والتشابك ، و غيرها) ؛ فإنّها لا تحقق هذه الخصوصية التي يتميّز بها مفهوم (التضافر) ، فقد يجتمع الأسلوب مع الآخر ويقترن به أو يزدوج معه من غير اتفاق لازدواجهما أو قد يتحقق إدخال الأسلوب مع الآخر باتفاق من غير تحقيق غاية لتداخلهما ، في حين تتحقق تلك الغاية في مفهوم (التضافر) ؛ لأنه يتطلّب وجود توافق تركيبيّ ، و دلاليّ بين الأساليب المتضافرة ؛ لذلك فهو يحقق المعنى الأوسع والأعم والأنسب من بين مرادفاته لاستيعاب دلالات الألفاظ التي عبّر بها اللسانيون العرب قاصدين (تضافر الأساليب) ، وإن لم يستعمل هذا المصطلح في التراث العربي القديم بحسب استقراء بحثنا ؛ فقد كانت عنايتهم تصبُّ في المقام الأول نحو بسط المفاهيم العامة لأغراض تعليمية غالبًا .

ولعلَّ العلاقة بين مرادفات التضافر والتضافر يمكن أن توظّف داخل ما يعرف بالحقل الدلالي ، والشكل الهرمي يوضح الحقل الدلاليّ للتضافر ومرادفاته من الأسفل إلى الأعلى مع مراعاة التدرج المناسب لأفكار كلّ واحدة منها ، وقربها المنطقيّ من مفهوم (التضافر) :-

(٢) الحقل الدلاليّ لمفهوم (التضافر)

(١) ينظر : مقاييس اللغة (نظم) : ٥ / ٤٤٣ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه (بني) : ١ / ٢٠٢ .

(٣) ينظر : العين (علق) : ١٦٢/١ ، ومقاييس اللغة : ٤ / ١٢٥ .

(٤) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (خصّ) : ٢٨٤ .

(٥) ينظر : مجمل اللغة (عمد) : ٦٢٨-٦٢٩ .

(٦) ينظر : مقاييس اللغة (لزم) : ٢٤٥/٥ .

(٧) ينظر : مقاييس اللغة (صحب) : ٣٣٥/٣، ومفردات ألفاظ القرآن : ٤٧٥-٤٧٦ ، والكليات : ٥٥٨.

(٨) ينظر : مقاييس اللغة (ربط) : ٤٧٨/٢ ، ومفردات ألفاظ القرآن : ٣٣٨-٣٣٩ ، و تاج العروس : ١٩ / ٢٩٨- ٢٩٩ .

(٩) ينظر : مقاييس اللغة (دمج) : ٢٩٩/٢ ،و مجمل اللغة : ٣٣٥ ، و أساس البلاغة : ١٩٥ .

(١٠) ينظر : مقاييس اللغة (دخل) : ٣٣٥/٢، ومفردات ألفاظ القرآن : ٣٠٩ .

(١١) ينظر : مقاييس اللغة (شبك) : ٢٤٢/٣ ، ومجمل اللغة : ٥٢٠ .

(١٢) ينظر : مقاييس اللغة (قرن) : ٧٦/٥ .

(١٣) ينظر : مقاييس اللغة (زوج) : ٣٥/٣ ، ومفردات ألفاظ القرآن : ٣٨٤ ، ومختار الصحاح : ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(١٤) ينظر : مجمل اللغة (جمع) : ١٩٨ ، ومفردات ألفاظ القرآن : ٢٠١ ، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : ٣٣٧ .

(١٥) ينظر : مقاييس اللغة (لقي) : ٢٦٠/٥ - ٢٦١ ، ومجمل اللغة : ٨١١ - ٨١٢ .

(١٦) ينظر : مقاييس اللغة (جوب) : ٤٩١/١ .

(١٧) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (وصل) : ٨٧٣ ، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : ٣١٧/٤-٣١٨ .

(١٨) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (جار) : ٢١١ .

(١٩) ينظر : مقاييس اللغة (ولي) : ١٤١/٦ ، ومفردات ألفاظ القرآن : ٨٨٥ ، و ٨٨٧ .

(٢٠) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (عقب) : ٥٧٥ .

(٢١) ينظر : مقاييس اللغة (تبع) : ٣٦٢/١ .

(٣) في البحث عن مفهوم للتضافر

ولعلَّ ما يعضّد اختيار البحث مصطلح التضافر عنوانًا للرسالة استعماله في التراث العربيّ النقديّ الحديث ؛ فقد وضع الدكتور عبد السلام المسديّ مصطلح (التضافر الأسلوبيّ) ، و تناول مفهومه في تحليله لقصيدة (ولد الهدى) للشاعر أحمد شوقي . و قد عرّف هذا المصطلح بالقول : ((أن تنتظم العناصر (يقصد العناصر اللفظيّة المكوّنة للنصّ) انتظامًا مخصوصًا يسمح باستكشافها طبق معايير مختلفة بحيث كلّما تنوّعت مقاييس الاستكشاف حافظت العناصر على مبدأ التداخل)) [١]. و حاول استجلاء هذا التضافر من خلال أربعة معايير استكشافيّة ؛ و هي [٢]:-

أ- معيار المفاصل : و قصد به تشابك مواطن الانتقال من شحنة اخباريّة إلى شحنة اخبارية أخرى في القصيدة [٣].

ب- معيار المضامين : و أراد به المكوّنات الدلاليّة التي تكوّن محاور الخطاب الشعريّ ، و تتصل بالموضوع الذي يتناوله النصّ [٤].

ت- معيار القنوات : و قصد به مجاري الأداء الإبلاغيّ ؛ أي : مـــا يتخذه الشـــاعر(مؤلف النصّ) مرتكزًا حواريًّا يصطنع فيه التواصل مع القارئ . و يظهر من تحليل الدكتور المسدي أن هذا المعيار يتعلق بشكل خاص بطريقة توزيع الضمائر في النصّ [٥].

---

(١) النقد و الحداثة : ٧٨ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٧٩ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٧٩ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٨٠ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ٨١ – ٨٣ ، و ٩١ .

ث- معيار البنى النحويّة : و يقصد به تضافر الأبنيّة التركيبيّة المكوّنة للنصّ. و يرصد صوغ النصّ في قالب نحويّ متناسق منسجم تركيبيًّا إلى حدّ التطابق أحيانًا ، ومتخالف في أحيان أخرى ؛ و لكن يتعانق فيه الاختلاف مع الانسجام [١].

و الواضح أنَّ هذا المصطلح يدور في مجال النقد الأدبيّ للنصوص الشعريّة ، و يحاول الكشف عن التضافرات الأسلوبية التي فيها . و المقصود بالتضافر الأسلوبي عنده لا يساوي التضافر بين الأساليب النحويّة – كما هو مجال دراستنا – تحديدًا ؛ لأنه يتحدث عن الأسلوبيّة بوصفها مصطلحًا نقديًّا ، و لأنَّ التضافر في البنى النحويّة هو أحد معاييره ، و ليس كلّ المعايير . و قد استفدتُ من هذا البحث في مجال طريقة اكتشاف التضافرات .

فكل الدلالات أيّا كان نوعها تشترك في بيان المراد في الكلام بشكل مقترن بعضه في بعض في شبكة من هذه الدلائل الداخلة فيه والخارجة منه ، وهذا معنى التضافر الذي هو عبارة عن شبكة من القنوات الدلالية تتداخل كل واحدة منها في وقت واحد أو في أوقات متقاربة بوساطة لفظية أو معنوية[٢] .

وبتوافر مقومات الخطاب في الدرس النحوي واتحاد عناصره تحت ما يسميه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بـ (الاندماج الدلالي) ويعرّفه بقوله : ((هو الجامع المؤلف لكل الدلائل لفظًا وقرائن مما يحصل بالفعل بنيابة هذه القرائن عن اللفظ المحذوف في سعة الكلام)) [٣] ، وبذلك يمكننا القول : إنَّ الاندماج الدلاليّ هو سمة من سمات العربية التي تلقي الأضواء على فكرة تضافر الأساليب النحويّة ؛ فعندما تجتمع الدلائل اللفظيّة وقرائنها المعنوية لإيصال غرض المتكلم إلى السامع عن طريق الجامع المؤلف – الاندماج – فإنها تحقق وسيلة من الوسائل التي تعين على إبراز علاقات تضافرات

---

(١) ينظر : النقد و الحداثة : ٩٣ – ٩٥ .

(٢) ينظر : الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية : ٦٠ .

(٣) المصدر نفسه : ٦١ .

الأساليب النحوية بوسائطها اللفظية والمعنوية في بنية النصّ الكليّة للتعبير عن نسج الأسلوب مع الآخر ، وتعلقه به في داخل بنية النص الكلية لولادة المعنى الكلي من تلك التضافرات ؛ ذلك أنَّ المعنى كما أنّه لا يتحصل من الكلمات المتناثرة الحرة المستقلة ؛ بل من الكلام الذي وضع لفائدة ، كما يقول ابن جني(ت : ٣٩٢هـ) : ((إنما وضع الكلام للفائدة والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة وإنما تجنى من الجمل ومدارج القول))[١] ، فكذلك لا يمكن لهذه الفائدة أن تجنى من الجمل ومدارج القول من غير تعلقها بمعاني النحو التي لا تتصور إلا باتحاد أجزاء الكلام وربط بعضها ببعض ، كما يقول عبد القاهر الجرجاني (ت : ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ) : ((واعلم أنّ ممّا هو أصلٌ في أن يَدُقَّ النظرُ ، ويغمض المسْلك ، في توخِّي المعاني التي عرفت : أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثانٍ منها بأولٍ))[٢] . وقوله : ((ومما ينبغي أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذكر، أنّه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادًا ومجردة من معاني النحو، فلا يقوم في وهمٍ ولا يصح في عقل ، أن يتفكر متفكر في معنى(فِعْلٍ) من غير أن يريد إعماله في(اسم) ، ولا أن يتفكر في معنى (اسم) من غير أن يريد إعمال (فعل) فيه ، وجعلهُ فاعلًا له ، أو مفعولًا ، أو يريد فيه حكمًا سوى ذلك من الأحكام مثل أن يريد جعله مبتدأ ، أو خبرًا ، أو حالًا ، أو ما شاكل ذلك .))[٣] .

ويثبت عبد القاهر خاصية أخرى للتركيب اللغوي وقصديّتهِ ، من خلال الفصل الذي عقده لـ (إنَّ) إذ بين أن لوجودها معنى لا يستفاد بدونها ودلالات ثابتة تقصد منها ؛ يقول : ((هل شيء أبين في الفائدة ، وأدلُّ على أن ليس سواءً دخولها وأن لا تدخل، أنَّك ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به ، حتى كأنَّ الكلامين قد أفرغا إفراغًا واحدًا ، وكأن أحدهما قد سبك في الآخر؟ هذه هي الصورة حتى إذا جئت إلى

---

(١) الخصائص : ٣٣١/٢ .

(٢) دلائل الإعجاز : ٩٣ .

(٣) المصدر نفسه : ٤١٠ .

(إنّ) فأسقطتها ، رأيت الثاني منهما قد نَبا عن الأول ، وتجافى معناه عن معناه ، ورأيته لا يتصل به ، ولا يكون منه بسبيل حتى تجيء (بالفاء) فتقول : (بكِّرا صاحبي قبل الهجير ، فذاك النجاح في التبكير) و(غَنّها وهي لك الفداء ، فغناء الإبل الحداءُ) ثمّ لا ترى (الفاء) تعيد الجملتين إلى ما كانتا عليه من الأُلفة ، ولا تردُّ عليك الذي كنتُ تجدُ بـ (إنَّ) من المعنى . و هذا الضرب كثير في التنزيل جدًا ، من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ ﴾[الحج : ١/٢٢]))[١] .

إن علاقات الربط والارتباط بين الألفاظ والجمل والوحدة العضوية لـ (أن) تقرر ما قرره علماء اللغة اليوم من أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل هي مجموعة من العلاقات ؛ يقول عبد القاهر : ((والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربًا خاصًا من التأليف ، ويعمد بها إلى وجهٍ دون وجهٍ من التركيب والترتيب))[٢] .

وهكذا الحال مع الأسلوب الواحد أو الجملة الواحدة لا يجنى منها شيء في مستوى قصدية إنشاء النص فائدة نصية إلا بتضافرها مع سلسلة الأساليب النحوية لبناء النصّ ، وهذا ما يستفاد من قول الجرجاني معلقًا على بيت بشار :

((كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

و انظر هل يُتصور أن يكون بشارٌ قد أخْطر معاني هذه الكلم بباله أفرادًا عاريةً من معاني النحو التي تراها فيها وأن يكون قد وقع (كأن) في نفسه من غير أن يكون قصد إيقاع التشبيه منه على شيء وأن يكون فكرَّ في (مُثار النقع) ، من غير أن يكون أراد إضافة الأول إلى الثاني وفكرَّ في (فوق رؤوسنا) ، من غير أن يكون قد أراد أن يُضيف (فوق) إلى الرؤوس، وفي (الأسياف) من دون أن يكون أراد عطفها

---

(١) دلائل الإعجاز : ٣١٦ ، وللمزيد : ٢٧٣-٢٧٥ .

(٢) أسرار البلاغة : ٤ .

بالـــــواو على (مثار) وفي(الواو) من دون أن يكون أراد العطف بها وأن يكون كذلك فكرّ في (الليل) ، من دون أن يكون أراد أن يجعله خبرًا (لكأنَّ) وفي (تهاوى كواكبه) ، من دون أن يكون أراد أن يجعل (تهاوى) فعلًا للكواكب ثم يجعل الجملة صفةً لليل ، ليتمَّ الذي أراد من التشبيه ؛ أم لم يُخطِر هذه الأشياءَ بباله إلّا مرادًا فيها هذه الأحكام والمعاني التي تراها فيها ؟ وليت شعري ، كيف يُتصوّر وقوع قصد منك إلى معنى كلمةٍ من دون أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى ؟))[١] ونستقي من كلام الجرجاني أنَّ الفائدة مثلما تكمن في تعليق أفراد الكلم ومعانيها بعضها ببعض فإنها تكمن في تعليق التركيبات بعضها ببعض بدليل قوله : ((بيت بشار إذا تأملته وجدته كالحلقة المفرغة التي لا تقبل التقسيم ، ورأيته قد صنع في الكلم التي فيه ما يصنعهُ الصّانع حين يأخذ كسرًا من الذهب فيذيبها ثمّ يَصبُّها في قالبٍ ، ويخرجها لك سوارًا أو خلخالًا . وإن أنت حاولت قطع بعض ألفاظ البيت عن بعض ، كنت كمن يكسر الحلقة ويفصم السوار ... فالمفهوم من الجميع مفهوم واحدٌ ، والبيت من أوله إلى آخره كلام واحد. فانظر الآن ما تقول في اتّحاد هذه الكلم التي هي أجزاء البيت ... وإذا نظرنا لم نجدها اتحدت إلّا بأَنْ جعل(مُثارَ النقع) اسم(كأن) ، وجعل الظرف الذي هو(فوق رؤوسنا) معمولًا (لمثار) ومعلقًا به، وأشرك (الأسياف) في (كأن) بعطفه لها على (مثار) ثمّ بأن قال : (ليل تهاوَى كواكبُه) ، فأتى بالليل نكرة ، وجعل جملة قوله : (تهاوى كواكبه) له صفة ، ثمّ جعل مجمـــوع : (ليل تهاوى كواكبه) ، خبرًا لـ (كأنَّ) فانظُر هل ترى شيئًا كان الاتحاد به غير ما عدّدناه ؟ وهل تعرف له موجبًا سواه))[٢] ، و قوله : ((فلو أنَّك عمدت إلى بيت شعرٍ أو فَصْل نثرٍ فعددت كلماته عدًا كيف جاء واتفق ، وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بُنى ،

(١) دلائل الإعجاز : ٤١١-٤١٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٤١٤-٤١٥ .

وفيه أفرغ المعنى وأجرى وغيرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد ، وبنسقه المخصوص أبان المراد))[١] .

ويتضح المراد من نظم البيت من الشعر أو الفصل من النثر بضمّ ألفاظه بعضها إلى بعض وضم البيت إلى الآخر لإنشاء قصيدة يتضح معناها بتضافر أبياتها فلا يتضح المعنى الكلي لها إلا بضم جملها ، يقول فخر الدين الرازي (ت : ٦٠٦ هـ) : ((اعلم أن الجمل الكثيرة إنْ نظمت نظمًا واحدًا فلا يخلو إما أن يتعلق البعض بالبعض ، أو لا يتعلق . فإن لم يتعلق البعض بالبعض لم يحتج واضع ذلك النظم إلى فكرٍ و رويّة في استخراج ذلك النظم ...))[٢] . فسرُّ جمال قول زهير :

غشيتُ ديارًا ، بالبقيـع ، فثهمدِ دوارس، قد أقوين من أمِّ مَعبَدِ
أرَبَّتْ بها الأرواحُ ، كلَّ عشيّـةٍ فلم يبقَ إلا آلُ خيمٍ ، منضَّدِ
وغيرُ ثلاثٍ ، كالحمام ، خوالدٍ وهـابٍ ، مُحيلٍ ، هامـدٍ متليّدِ

هو أنَّ ((هذه الأبيات الثلاثة كأنَّها جملة واحدة ؛ فقوله : (دوارس) وصف لـ (ديارًا) ، و(قـد أقويـن من أمِّ معبـد) وصـف آخـر لها أيضًا ، والبيـت الثانـي كذلك وصـف لـ (ديارًا) ، والبيت الثالث داخل في الاستثناء الذي في البيت الثاني ، وهكذا فالأبيات الثلاثة أشدّ ما تكون ترابطًا ، والأمر في ذلك ظاهر ، فتحرير المعنى وتدقيقه وتفصيله هو الذي دعا إلى ارتباط الجملة بجملة أخرى تكون بمثابة التدقيق لمعناها ؛ فإقامة الريح بالديار كل عشية أدى إلى العفاء فلم يبق فيها شيء إلا ما ذكره الشاعر ، وهذا استدعى جملة (فلم يبق إلا آل خيم منضد) ، و(وغير ثلاث كالحمام خوالد وهاب محيل هامدٍ مُتلبّدِ)، والجملة الأخيرة هذه (وغير ثلاث) معطوفة كلها على فاعل (يبق) ومرتبطة بهذا الشعر لأنّه كما ترى يحدد الباقي من آثار الديار ، و(الفاء) في : (فلم

(١) أسرار البلاغة : ٤ .
(٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ١٤٤ .

يبق) عاطفة على (أربّت) وهي كجزء (كذا) من المعنى ، وهذا كله لاشك مرتبط أوثق الارتباط بـ (أربّت) ؛ لأنه متفرع عنه ، فحصر البقاء في هذه الأشياء المذكورة مترتب على إقامة الأرواح مما وصفت به (ديارًا)))[١] .

وأحسب أنَّ في ارتباط هذه الأبيات بعضها ببعض و تضافر أساليبها سرًّا جماليًّا يضفي على القصيدة كمال المعنى الناتج من تلاحم أبياتها وقد دل على هذا التلاحم تضافر عناصر الكلام و قلة العثور على جمل قصيرة عنده لارتباطها بما قبلها وعدم انقطاعها عما بعدها حتى تصل الجملة الواحدة إلى ثلاثة أبيات أو أربعة بحسب ما يقتضيه المعنى العام للقصيدة[٢] .

(٤) تضافر القرائن و تضافر الأساليب النحويّة

إنَّ بين المفهوم اللغويّ للجذر (ق ر ن) الذي يدلُّ في أحد أصليه على معنى : ((جمع شيء إلى شيء)) [٣] ، و المفهوم الاصطلاحيّ الذي يعني أنّها : ((أمرٌ يشير إلى المطلوب)) [٤] أو ((ما نصّب للدلالة على المراد)) [٥] علاقةً وثيقةً . و قد نال مبحث القرائن اللغويّة عناية الباحثين و خصصت له دراسات كثيرة[٦] .

و مجال بحثنا هنا يُعنى بدراسة العلاقة بين مفهوم (نظريّة تضافر القرائن) التي أصّلها الدكتور تمّام حسّان (ت : ٢٠١١ م) وفكرة تضافر الأساليب النحويّة . فقد شرح

---

(١) نسق الكلام في شعر زهير (رسالة ماجستير) ، لهيفاء عثمان : ٣٦٥ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٣٨٦ .

(٣) مقاييس اللغة : (قرن) : ٥ / ٧٦ .

(٤) التعريفات ، للشريف الجرجاني : ١٤٣ .

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون ، للتهانوي : ١ / ١٦٣.

(٦) ينظر : علم التخاطب الإسلاميّ (دراسة لسانيّة لمناهج علماء الأصول في فهم النصّ) ، لمحمد محمد يونس علي : ٦٥ ، و ٨٧ ، و ما بعدها .

الدكتور تمّام حسّان مفهوم هذه النظريّة بقوله عنها بأنّها : ((ظاهرة ترجع في أساسها إلى أنّه لا يمكن لظاهرة واحدة أن تدلَّ بمفردها على معنى بعينه ؛ و لو حدث ذلك لكان عدد القرائن بعدد المعاني النحويّة و هو أمر يتنافى مع مبدأ عام آخر و هو تعدد المعاني الوظيفيّة للمبنى الواحد)) [١] .

و يمكن القول – في ضوء ذلك – إن نظريـــة تضافر القرائن و فكرة تضافر الأساليب النحوية يشتركان في انطلاقهما من نظريــة واحدة ؛ وهي نظريـــة (التعليق)[٢] التي اكتملت على يد عبد القاهر الجرجاني ، وقد عدت من أذكى المحاولات التي فسّرت العلاقات السياقيّة في تأريخ التراث العربي كلّه ؛ فهي تصوّر العلاقات النحويّة بين الأبواب كتصور علاقة الإسناد بين المسند إليه والمسند وتصور علاقة التعدية بين الفعل والمفعول به[٣] . و هي علاقات تدور في إطار الجملة التي يمكن أن نطبق عليها فكرة تضافر القرائن اللفظيّة منها والمعنويّة . والمثال الآتي يعزز هذا المعنى ، نحو : ضرب زيدٌ عمرًا ، فـ (زيد) فاعل بشهادة سبع قرائن واحدة منها معنوية ؛ وهي الاسناد أما البقية فلفظية ، و(عمرًا) مفعول به بشهادة خمس قرائن إحداها معنوية ؛ وهي التعدية[٤] . في حين لا يمكن تطبيق فكرة (تضافر الأساليب النحوية) على هذه الجملة لاتساع فكرة تضافر الأساليب للنص متعدد الجمل بتنوع الوسائط اللفظية والمعنوية الرابطة بين الجمل ، و الأساليب النحويّة كقوله تعالـــى : ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١١٢/٤] ؛ فالشرط هنا ((في مجموع الجملتين لا في كل واحدة منهما على الانفراد ، و لا في واحدة دون الأخرى ؛لأنّا إن قلنا أنّه في كل واحدة منها على الانفراد ، جعلناهما شرطين ، وإذا جعلناهما شرطين اقتضتا جزاءين ،

---

(١) اللغة العربيّة معناها و مبناها : ١٩٣ – ١٩٤ .

(٢) ينظر : نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية : ٦٧ .

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٨٦ .

(٤) المصدر نفسه : ١٩٢ .

وليس معنا إلّا جزاء واحد . و إن قلنا إنّه في واحدة منهما دون الأخرى ، لزم منه إشراك ما ليس بشرط في الجزم بالشرط ، و ذلك ما لا يخفى فساده))[١] ؛ و لذلك علّق عبد القاهر الجرجانيّ بالقول : ((ثمَّ إنّا نعلم من طريق المعنى إنَّ الجــزاء الذي هو احتمال البهتان والإثم المبين أمر يتعلق إيجابه لمجموع ما حصل من الجملتين ، فليس هو لاكتساب الخطيئة على الانفراد ولا لرمي البريء بالخطيئة أو الإثم على الإطلاق ؛ بل لرمي الإنسان البريء بخطيئة أو إثم كان من الرامي ، و كذلك الحكم أبدًا . فقوله تعالــى : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٠/٤] لم يعلّق الحكم فيه بالهجرة على الانفراد؛ بل بها مقرونًا إليها أنْ يدركه الموت عليها))[٢] . ومن الأنسب للشرط الذي يتحصل إيجابه بمجموع ما حصل من الجملتين أن يدرس تحت ظاهرة (تضافر الأساليب النحوية) التي تقوم على دراسة شبكة علاقات الجمل ؛ في حين تدرس نظرية تضافر القرائن المعنى الدلالي للجملة فهي بذلك إحدى الوسائل التي تعين على إبراز المعنى النحوي الناتج من النصّ . لكن ينبغي أن تدرس الجملة وأسلوبها مع ما يليها من جمل وأساليب للحصول على معنى كلّيٍّ و لا سيّما أنَّ بعض الأساليب النحويّة لا تأتي إلّا متضافرة مع غيرها بصورة مباشرة أو غير مباشرة كـ (العطف) الذي يعبّر عنه الجرجاني بقوله : ((مما يقل نظر الناس فيه من أمر العطف أنه قد يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان))[٣] . وقوله في أمر العطف إنه : ((موضوع على أنّك تعطف تارة جملة على جملة ، وتعمد أخرى إلى جملتين أو جمل فتعطف بعضًا على بعض ، ثم تعطف مجموع هذه على مجموع تلك))[٤] .

---

(١) دلائل الإعجاز : ٢٤٦ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٤٦ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٤٤ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٤٥ .

إنَّ تفسير الجرجاني للعلاقات بين الجمل من طريق العطف فيه ومضة لطيفة تضيء طريق دراسة نحو النص ؛ فعطف الجمل بعضها على بعض وعطف مجموع هذه على مجموع تلك، يقتضي تكوين (نصٍّ) وصفه الجرجاني بأنه : ((فنٌّ من القول خاصّ دقيق))[١].

و لأنّ مفهوم تضافر الأساليب يتكوّن من بناء أساليب النصّ النحوية متابعةً ، وترتيبًا ، ونسجًا ؛ فهو قادر على استيعاب كلّ أشكال العلاقات النحويّة في النص ؛ لأنّه جامع لبنية النصّ الكليّة بأشكال تضافراته النحويّة المختلفة – التي يقتضيها سياق الأساليب النحوية التي تتلاءم مع معنى التعبير الكلي – ، و روابطها اللفظية والمعنوية . وبهذا يبرز الفرق جليًا بين فكرة تضافر القرائن وتضافر الأساليب النحوية ، وهو أمر يمكن تصويره بالمعادلة الآتية :

تضافر القرائن اللفظية والمعنوية في جملة ما	+	تضافر القرائن اللفظية أو المعنوية في جملة ما	=	تضافر الأساليب النحوية بوساطة لفظية أو معنوية في الجملة الواحدة أو في مجموعة جمل

(٥) تعريف ظاهرة (تضافر الأساليب النحويّة)

و في اطار محاولة صوغ تعريف لظاهرة تضافر الأساليب النحويّة يمكن أن نستنتج ممّا تقدّم الآتي :

١) إن مجموعة تضافرات القرائن اللفظية والمعنوية في سياقات الجمل تساعد على إبراز العلاقات النحوية التي تقوم عليها تضافرات الأساليب ، إذن فهي أحدى الوسائل التي تسهم في فهم فكرة تضافر الأساليب النحوية وصوغها خاصة وإنها

(١) ينظر : دلائل الإعجاز : ٢٤٤ ، وللمزيد ينظر : ٢٤٣-٢٤٨ .

تقوم على نحو الجملة الذي يعدُّ نواة نحو النص الذي تدرسه فكرة تضافر الأساليب النحوية لولادة المعنى الكلي منه .

٢) إن تدوين ظاهرة تضافر الأساليب النحوية في النصوص العربية يستدعي إمعان النظر في محاولة صوغ تعريفٍ لها ؛ إذ تتوافر فيها شرائط تؤهلّها أن يصاغ لها تعريف ؛ فهي :

- ترقى أن تكون مصطلحًا .
- ينتمي إلى نحو الجملة في جانب منه ، و يقع في مجال نحو النص في جانبه الأكبر.
- وتقوم فكرته على العلاقات التركيبية والدلالية بين الأساليب النحوية وتعاضدها لبناء النص في كلّيته . فكما أن (النظم) هو السلك الذي تسلكه الكلمة المفردة والناظم الذي ينظمها ، والجامع الذي يجمع شملها ويؤلفها ويجعل بعضها بسبب من بعض – بحسب قول الجرجاني[١] – ؛ فكذلك الأساليب النحويّة في بنية النّصّ الكليّة ، وكما أنّ ((الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربًا خاصًا من التأليف ، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب)) [٢] ؛ فكذلك الأساليب تعدّ ضربًا خاصًا من التأليف ، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب .

وبذلك يمكن صوغ تعريف لظاهرة (**تضافر الأساليب النحوية**) بأنها: (ظاهرة لسانية قارة في النصوص العربية نثرًا ، وشعرًا ، وقرآنًا تتمثل بشبكة العلاقات التركيبية والدلاليّة البانية للنّصّ ، والجامعة لأساليبه ، والقادرة على نظم عناصر النّصّ بعضها ببعض بوصفها كلًّا متكاملًا) .

---

(١) دلائل الإعجاز : ٣٩٢ .

(٢) أسرار البلاغة : ٤ .

Abstract:

The holy Quran is a syntactic text built up of certain syntactic structures that collaborate in to special arranged text. To build such a text, all the syntactic structures must collaborate and integrate within the entire composition of the text. This study tries to focus on such kind of relationships within the holy Quran and follow the new rules that result out of such relationship on the level of context based on the semantic repertoire. As such, it does not depend on the sentence, but goes beyond its limit; making thereby new horizons for explanation and enrich understanding possibilities.

The aim of this research is to uncover the type of the stylistic relations between the Arabic structure that result from the combination of the syntactic structures in Quran on two phases: structure and meaning. To make the topic clear to the reader, the researcher will define some of the terms used. Collaboration , to start with, means to systematize the syntactic structures within the network of the relationships between these structures in one (or more than one) text. Style refers to the art and the way certain elements are used, and whether these elements are arranged in a well-ordered series or there is a kind of bringing forward or backward of certain elements.

The Qur'an is characterized by the collaboration of many syntactic structures like negation, interrogation, vocative case and declaration. It is also characterized by its various ways of using different styles to be away of monotony. This study tries to reveal the way syntactic styles are collaborated on the levels of structure and meaning. Meaning here is closely associated with the quranic expression as structure and meaning are closely mixed especially in Quran as it is a text that cannot be distorted or falsified, and so it is the best text that the collaboration of syntactic styles can be covered with.

In Arabic, the word structure can be either phonetic, syntactic, morphological or semantic. This study is specified to the study of the syntactic structure of language especially in Qur'an. As such, the word structure in this study is used not only to refer to the form of the verb but to the rule that explain the formation and the rationality of the thing referred to.

This study is classified into an introduction and three chapters followed by a list of references. The introduction dealt with the topic and explained the importance of the title and the previous studies in this respect. Chapter one entitled as (The Collaboration of Syntactic Styles: Awareness of the concept in the Arabic Linguistic Heritage) dealt with the theoretical accomplishments in the Arabic linguistic heritage. Section one is entitled "Towards a definition of the term coalescence". Section two (Conceptualization and development of the Term) showed the methods used to explain the term collaboration and its invention in the Arabic heritage. Section three is entitled as "The Codification of the phenomenon of collaboration in Arabic heritage"

Chapter two entitled as "The coalescence of syntactic structures in the quranic expressions: types and rules" is divided in to two sections, " Rules of the coalescence of syntactic structures in the Quranic expression" that dealt with the certain rules in the holy quran like permissibility, obligation and objection; and " Types of the Coalescence of syntactic structures" which concluded the most important types of coalescence mentioned and used in the holy quran like: 1)textual coalescence, 2)concomitant coalescence, 3)contextual coalescence, 4)stylistic coalescence, and 5) objective coalescence.

Chapter three is entitled as "The phenomenon of syntactic coalescence as an applied accomplishment in the Quranic expression". It tackled "The coalescence of vocative style and Command and their contexts)in the first section and in the second

section (The Collaboration of Vocative Style and other Styles and their Contexts) in certain Maki and Madani Suras in Quran; namely (Al Ma`ida, Al Shu`ra, Al Naml and Al Qasas). This chapter is followed by a list of the most important conclusions and references used in this study.

The most important source in this study was the holy Qur'an as it is the main source of expressions intended ; beside the books of grammar, linguistics, Interpretation of the holy Qur'an ,Inimitability of the Qur'an and many recent important sources.

It is of extreme importance to thank Allah, the most merciful, the most compassionate, to accomplish this work. Then valuable thanks are extended to Ass .Prof. Dr. Ghada Ghazi Abdulmajeed who was there in every difficult case, constantly read and gave her advice every now and then.

The Researcher